﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحشر: 6]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الانتقال من ذكر خـزي اليـهـود إلى ذكـر كـرامة الرّسول

بعد أن بيَّنت السّورةُ ما حلّ باليهود من العذاب العاجل، وما ينتظرهم من العقاب الآجل، وما فُعل بديارهم ونخيلهم من التّخريب والقطع وأسباب ذلك؛ ناسب أن تشرع في الحديث عن الفيء الّذي أفاءه اللّهُ على المسلمين من أموال بني النّضير، فبدأت ببيان أنه أُخذ من غير حرب؛ تمهيدًا لتقسيمه بطريقة مغايرة للطّريقة الّتي تُقَسَّم بها الغنائم الّتي أُخِذت بعد حرب؛ إذ الأخيرة تُخَمَّس، وتلك لا تُخَمَّس[1]، فهو انتقالٌ من الحديث عن خزي اليهود بإجلائهم من ديارهم، إلى إكرام الرّسول ببيان ما له من غنائم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَفَآءَ﴾: (فيأ)، كَلِماتٌ تَدُلُّ على الرُّجوعِ، يُقالُ: فاءَ الفَيءُ؛ إذا رَجَعَ الظِّلُّ مِنْ جانِبِ المَغْرِبِ إلَى جانِبِ المَشْرِقِ، وكُلُّ رُجوعٍ فَيْءٌ، قالَ تَعالَى: ﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: 9]، أي: تَرْجِعَ[2]، وقيل للغنيمة الّتي لا يلحق فيها مشقَّة: فَيْءٌ، قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾، وقال أيضًا: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: 50]، سمّي بِالفَيءِ الّذي هو الظِّلُّ؛ تنبيهًا إلى أنّ أشرفَ أعراضِ الدّنيا يجري مجرى ظلٍّ زائلٍ[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 419، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 227.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فأ).
(3) الرّاغب، مفردات القرآن: (فيأ).

2) ﴿أَوْجَفْتُمْ﴾: الوَجيفُ: سرعةُ السّير، يقال: أوجفتُ البعير: أسرعتُه، ومعناه المحوريُّ: خفة حركة الشَّيء ومباعدته مقره بسبب خفَّة ما يحتويه، كارتفاع اللّسان عن مَقَرِّه بالذكْر بخفَّة، وارتفاع الفرس وغيره عن الأرض عند الإسراع، قال تعالى: ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾، أي: ما أعملتم، وما أجهدتم خيلًا ولا ركابًا من أجل تحصيله، فيكون لكم سهمٌ فيه[1].

3) ﴿رِكَابٍ﴾: (ركب) أصْلٌ واحِدٌ، وهوَ عُلوُّ شَيْءٍ شَيْئًا، يُقالُ: رَكِبَ رُكوبًا يَرْكَبُ[2]، والرُّكوبُ في الأصل: كون الإنسان على ظهر حيوان، واختصَّ الرِّكابُ بالمَرْكوب، قال تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: 8]، وقال أيضًا: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ﴾ [العنكبوت: 65] ومنه: الإبل الّتي يُسار عليها، واحدتها راحلة، قال تعالى: ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾[3].

4) ﴿يُسَلِّطُ﴾: (سلط) أصْلٌ واحِدٌ، وهوَ القوَّةُ والقَهْرُ، مِنْ ذَلِكَ: السَّلاطةُ مِنَ التَّسَلُّطِ، وهو التَّمكُّن من القهر، يقال: سَلَّطْتُهُ فَتَسَلَّطَ، ولِذَلِكَ سُمِّيَ السُّلطانُ سُلْطانًا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ﴾ [النساء: 90]، وقال أيضًا: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أمـوالُ الفيء منحةٌ تفضَّل اللهُ تعالى بها على رسوله

تبيِّن الآية الكريمة أنَّ ما أعطاه اللّهُ تعالى لرسولِه ﷺ من أموال بني النَّضير الّتي صالحوه عليها، هي فضلٌ تفضَّل اللّهُ به على نبيِّه بلا قتال يذكر، ومن ثمّ فليس للمؤمنين الحقُّ فيها؛ لأنَّهم لم يظفروا بها عن طريق قتال قاموا به، ولكنَّ اللّه تعالى هو الّذي سَلَّط رسولَه

(1) الرّاغب، مفردات القرآن: (وجف)، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (وجف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ركب).
(3) الرّاغب، مفردات القرآن: (ركب)، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (ركب).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سلط)، والرّاغب، مفردات القرآن: (سلط).

على اليهود وعلى ما في أيديهم، كما كان يُسَلِّط رسله على مَنْ يشاء مِن أعدائهم، واللّهُ تعالى قديرٌ على كلِّ شيء[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نوع الواو ودلالتها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ يجوز أن تكون لعطف ما بعدها على جملة: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾، فتكون امتنانًا وتكملة لمصارف أموال بني النَّضير، ويجوز أن تكون للعطف على مجموع ما تقدَّم، عطفَ القصّة على القصّة، والغرض على الغرض؛ للانتقال إلى التَّعريف بمصير أموال بني النَّضير؛ لئلّا يختلف رجال المسلمين في قسمته، ولبيان أنَّ ما فعله الرّسول ﷺ في قسمة أموال بني النّضير هو العدل؛ إن كانت الآيةُ نزلت بعد القسمة[2]، ويمكن أن تكون الواو استئنافيّة، عبَّر بها للتّنبيه إلى حال ما أخذه المسلمون من أموال اليهود[3].

احتمال العطف على الجملة أو القصّة واحتمال الاستئناف

نوع (ما) ودلالتها في جملة: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾:

(ما) في جملة: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدأ، جاء التَّعبير به لإفادة العموم، وليتوصَّل بما فيه من الصِّلة إلى التَّوصيف الصّحيح للأموالِ التي حصل عليها المسلمون - أرضًا ونخلًا ونقضًا وحطبًا - بعد جلاء بني النَّضير وخروجهم، وفيه معنى الشَّرط.

كلُّ ما غنمه المسلمون مِن أموال بني النضير فيءٌ

بلاغة استعمال مفردة الإفاءة:

جاء التّعبير في جملة الصّلة بفعل ﴿أَفَآءَ﴾ الدّال على العطاء والرّجوع كما سبق بيانه؛ للإشارة إلى أنّ الأموال الّتي حصل عليها

ما غنمه المسلمون من بني النَّضير عطاءٌ ردَّه اللهُ على رسولِه بيسرٍ

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 291، بتصرّف.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 78.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 37، 38.

المسلمون بعد جلاء اليهود - على اختلاف أنواعها وقيمتها - هي عطاءٌ "ردَّه اللّهُ تعالى على رسوله ردًّا غايةً في السّهولة واليسر، بعد أن كان فيما يظهر غايةً في الصّعوبة والعسر"[1]، وفيه بيان أنَّ الحقَّ في الغنيمة هو حقٌّ أصيل يرجع إلى صاحبِ الحقِّ، وما يُؤكِّد ذلك إسنادُ الفعلِ للّه تعالى.

وجه إسناد فعل الفيء ماضيًا إلى اسم الجلالة:

أفعال الله تعالى شرعٌ وحجَّة لا تقبل الجدال

إسنادُ فعل ﴿أَفَآءَ﴾ إلى اسم الجلالة العلم، في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ للدَّلالة على أنّ هذا العطاءَ مِن اللّه تعالى وحده، وليس لأحد فيه فضل ولا شركة، حتّى يكون له فيه سهمٌ، وجيء به ماضيًا لتأكيد تحقُّقه، بما له من عظيم القوى والقُدَر، والمعنى: ردَّ الملكُ الّذي له الأمرُ كلُّه[2]، ولا سيَّما إذا كانت أفعال اللّه تعالى مرتبطةً بالحقوق الماليّة، والعلاقات الإنسانيّة.

بلاغة استعمال حرف الاستعلاء:

الفيء إنزالٌ تشريعيٌّ يعيد الحقوق إلى مواضعها

الأصل في الفعل: (فاء) أن يتعدّى بـ (إلى)، يقال: فاء الظلُّ، أي: رجع إلى جانب المشرق[3]، لكن البيان عدّاه بحرف الاستعلاء فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾؛ للإشارة إلى أنّ هذا الفيء صار ملكًا خاصًّا برسول اللّه لا يشاركه فيه غيره، كما لا يشارك أحدٌ أحدًا في الثّياب الّذي أُلقي عليه، أو الدّرع الّذي أُعطي له كي يلتفَّ به، ويتحصَّن فيه، فهكذا كانت أموال الفيء بالنّسبة لرسول اللّه وآله، قال عمر بن الخطّاب: كانت أموال بني النّضير لرسول اللّه خاصّة، ينفق منها على أهله نفقة سنته، ثم يجعل ما بقي في السّلاح والكراع عدّة في سبيل اللّه تعالى[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 420.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 420.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فأ).
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 140.

وأيضًا فإنَّ في استعمال حرف الاستعلاء تضمينَ فعلِ ﴿أَفَآءَ﴾ معنى الإنزال، أي: أنزل الله تعالى على رسوله آيات القرآن لتشريع ما له من الفيء، باستحقاق مطلق لا يقبل الجدال.

توجيه تخصيص الرّسول بالذّكر:

تشريعُ أموالِ الفيء وبيان مصدريَّة التَّقسيم

خصَّتِ الآية رسول الله ﷺ دون غيره بالفيء، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾، ثم قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ لبيانِ أنَّ التصرُّفَ في هذه الأموال بالإعطاء والمنع راجعٌ إلى رسول الله، ولبيان أنَّ أموالَ بني النّضير لا ينطبق عليها ما ينطبق على أموال الغنائم الّتي بيَّن القرآنُ كيفيّة تقسيمِها في قولِه تعالى: ﴿*وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنفال: 41]، ولو قيل: (وما أفاء الله على المؤمنين)؛ لفُهِم أنَّها تُقَسَّم بينهم، كما يُقسَّم غيرُها من أموال الغنائم.

نوع (مِنْ) ومرجع الضمير في قوله ﴿مِنْهُمْ﴾:

مرجع الضّمائر يُعيِّنه السّياق، ويبيِّنه حسنُ النّظر

قولُه: ﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلِّق بمحذوف حال، و(مِنْ) فيه هي البيانيّة الّتي توضِّح ما أُبهم في اسم الموصول (ما)، والضّمير فيه يعود إلى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الواقعِ في أول السّورة، وهم بنو النّضير[1]، والمعنى: وما خَصّ اللّهُ به رسولَه من أموال بني النّضير الّذين أُخرجوا من ديارهم، وعبّر عنهم بالضّمير دون الاسم الظّاهر؛ جريًا على الأصل في التّعبير به عن الاسم الّذي سبق بيانه، لا سيّما إذا لم يكُ لبسٌ، وكان المعنى ظاهرًا واضحًا، كما هنا.

نوع الفاء ودلالتها في قوله: ﴿فَمَآ﴾:

قولُه: ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ خبر عن (ما) الموصولة قُرِن بالفاء؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 78، والدرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 596.

الفيءُ مطمعٌ للمؤمنين وابتلاءٌ لصبرِهم

لأنَّ الموصولَ كالشّرط لتضمُّنه معنى التسبُّب[1]، والتّعبير بالفاء هنا تعليل لكون هذه الأموال فيئًا أفاءه الله تعالى على رسوله ﷺ، والمعنى: أفاءه اللهُ على رسوله دونكم؛ لأنَّكم ما أوجفتم عليها من خيل ولا ركاب[2]، ومقتضى الغنم العمل، ولمّا كان فيئًا محضًا؛ كان ذلك لرسولِ الله ﷺ تكريمًا وتشريفًا، وهو ابتلاء للمؤمنين الّذين رأوا الفيء، وأرادوا نصيبًا منه.

نوع (ما) ودلالتها:

نفي المشقّة والجهد في السّير إلى بني النّضير

(ما) في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ حرف نفي، أوثر التّعبير به؛ لأنَّه يدلُّ على انتفاء أن يكون المسلمون قد مارسوا في سيرهم إلى بني النّضير أيَّ قدر من الإسراع نفيًا قاطعًا؛ إذ الحاصل أنَّهم مشوا إليها مشيًا لا إسراع فيه، ولم يقاسوا فيها شيئًا من شدائد الحروب[3]، والمعنى: لم يكن ذلك بإيجاف خيل أو ركاب منكم، أي: فما أوجفتم على تحصيله وتغنيمه خيلًا ولا ركابًا، ولا تعبتم في القتال عليه، وإنَّما مشيتُم إليه على أرجلكم؛ لأنَّه على ميلين من المدينة، ولم يكن أحد راكبًا سوى رسول الله ﷺ[4].

بلاغة التَّعبير بفعل الإيجاف دون غيره:

الإيجاف سيرٌ سريعٌ مرتبط بالمشقّة والجهد

آثر النّظم الكريم استعمال مفردة ﴿أَوۡجَفۡتُمۡ﴾، والإيجاف هو السّير السّريع، أي: ما أسرعتم في السّير، دون فعل الإسراع الأكثر استعمالًا؛ لدلالته على الجمع بين الإسراع والمشقّة، وهو ما لا يتحقّق إذا جاء التّعبير بالفعل: (أسرعتم)؛ إذ ليس كلُّ إسراع مصحوبًا بالجهد والمشقّة، ما يعني: أنّ السّير إلى بني النّضير كان سيرًا خاليًا من المشقّة والتّعب الّذي يكون في الحروب، والّذي تُقَسَّمُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 79.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 420.
(3) الشّوكاني، فتح القدير: 5/ 235.
(4) النّسفي، مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل: 3/ 457.

الغنائمُ على المحاربين بسببه؛ ففي اختيارِ هذه المفردة الغريبة في الاستعمال، علَّة تشريعيَّة في شأن الفيء، وأنَّ التّشريع الإسلاميّ مرتبطٌ بأسبابٍ وعلل يكون من ورائها العمل.

بلاغة التّعبير بحرف الاستعلاء:

تحصيل الفيء خلا من الجهد والمشقّة فهو محضُ منّة

آثر النّظم الكريم استعمال حرف الاستعلاء، في قوله تعالى: ﴿أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ دون (أوجفتم إليه) بحرف الانتهاء، أو: (فما أوجفتم من خيل ولا ركاب) بدون تقييد، فيكون على أصله، أي: لإبراز معنى الغلبة والتَّسارع والكدِّ الّذي يحصل عند سَوْقِ الغنائم بعد الفوز في المعارك[1]، ما يعني: أنَّ تحصيل الفيء وسوقَه كان خاليًا من المغالبة والتَّكالب والتَّعب الَّذي يكون عند أخذ الغنائم، فدلَّ حرفُ الاستعلاء المنفيَّة دلالته على أنَّ الجهد غير موجود، والمشقَّة مرفوعة.

وقيل: إنَّ (عَلى) للتعليل، وليس لتعدية ﴿أَوْجَفْتُمْ﴾؛ لأنَّ معنى الإيجاف لا يتعدَّى إلى الفيء بحرف الجرِّ، وقيل: إنَّ حرف الاستعلاء مُتَعَلِّقٌ بمحذوفٍ هو مصدر ﴿أَوْجَفْتُمْ﴾، أيْ: إيجافًا لأجله[2].

تعيين مرجع الضّمير:

قولُه: ﴿عَلَيْهِ﴾ جارٌّ ومجرور متعلّق بـ ﴿أَوْجَفْتُمْ﴾، والضّمير فيه يرجع إلى (الفيء)، أي: فما حصل سير سريع ولا مشقَّة للحصول على الفيء.

دلالة ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ خَيْلٍ﴾:

أخذُ فيء بني النَّضير كان بدون خيلٍ ولا ركابٍ

﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ خَيْلٍ﴾ حرف جرٍّ يفيد استغراقَ النّفي وشمولَه كلَّ مركوبٍ، يُركب أثناء حصار بني النّضير من الخيل والإبل، وأوثر التّعبير به مع إمكان أن يُقال: (فما أوجفتم عليه خيلًا ولا ركابًا)؛ لتقوية النّفي وتأكيده[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 420.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 140، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 79.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 420.

نكتة تنكير ﴿خَيْلٍ﴾:

لم يوجف المسلمون خيلًا مطلقًا من أجل بني النّضير

جيء بـ ﴿خَيْلٍ﴾ نكرة؛ لما يفيده تنكير الاسم الواقع في سياق النّفي من عموم المعنى وشمولِه كلَّ أنواع الخيل الّتي يمكن امتطاؤها في الحرب، والمعنى: لم توجِفوا أيَّ خيلٍ على الإطلاق، أيًّا كان نوعها، ومهما كان عددها، ولو جيء به معرفةً؛ لفُهِم أنّ النّفي يشمل نوعًا مُحدَّدًا، بينما أوجِف غيره من الأنواع، وهذا غير مراد.

فائدة استعمال حرف (لا):

تأكيد نفي المتشابهات لدفع توهُّم غير المراد

أعاد النّظمُ الكريمُ استعمال حرف النّفي (لا) بعد نفي إيجاف الخيل بـ (ما) في قوله: ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾؛ لتأكيد نفي إيجاف الرّكاب أيضًا، فلو قيل: (ما أوجفتم عليه من خيل أو ركاب)؛ لسبق إلى الوهم أنَّه أوجِف بواحد منهما، وهذا غير مراد، وفي نفي إيجاف الخيل وتأكيد نفي إيجاف الرّكاب تأكيدٌ لما سبق من أنَّ هذا النَّصرَ مِنَ الله وحده، وتأكيدٌ لكونه فيئًا أفاءه على رسولِه خاصة[1].

سرُّ التّعبير بلفظ ﴿رِكَابٍ﴾:

لا يشارك في الحرب من الإبل إلّا الرّكابُ

الـ ﴿رِكَابٍ﴾ ما يُركب من الإبل، واحدتُها: راحلة، ولا واحد لها من لفظها، والعرب لا يطلقون لفظ الرّاكب إلّا على راكب البعير، ويسمون راكب الفرس فارسًا[2]، وأوثر التّعبير بلفظ ﴿رِكَابٍ﴾ دون (إبل) جريًا على عادة العرب في التّعبير به عن الإبل الّتي لها دورٌ في نقل الجنود والمتاع والعتاد والكرِّ والفرِّ أثناء الحرب؛ إذ لا يصطحبون معهم غيرها، بينما أنواع الإبل الأخرى لا تخرج إلى الحرب أصلًا؛ لأنَّها تكون عبئًا عليهم، وعرضة للقتل والهلاك والسّلب؛ إذا خسروا معركتهم.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 420.
(2) الرّازي، فتوح الغيب: 29/ 506.

نوع الواو ودلالتها في جملة: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾:

تنبيه المؤمنين إلى نصرة ربِّ العالمين في جميعِ الميادين

الواو في جملة: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ تحتمل الاستئناف جيء بها؛ للتَّنبيه على أنّ الله تعالى قد سلَّط رسولَه على بني النَّضير؛ فاستسلموا دون حرب أو قتال، وتحتمل الحاليَّة، والمعنى: والحال أنَّ سنّة الله تعالى جاريةٌ على أن يسلّط رسله على مَن يشاء مِن أعدائهم تسليطًا خاصًّا، وقد سلّط النبيّ ﷺ على هؤلاء تسليطًا غير معتاد، من غير أن تقتحموا مضايق الخطوب، وتُقاسوا شدائد الحروب، فلا حقَّ لكم في أموالهم[1].

فائدة حرف الاستدراك ﴿وَلَٰكِنَّ﴾:

تعليل ما تقدَّم، وتثبيت سنّة الله تعالى في نصرة رسله

(لَكِنَّ) حرف استدراك، معناه: أن تنسب حكمًا لاسمها، يخالف المحكوم عليه قبلها[2]، وجاء الاستدراك؛ ليؤكِّد نفي أن تكون قوّةُ المسلمين وقتالُهم سببَ الحصول على أموال بني النّضير وديارهم، ويوضّح أنَّ السّبب الحقيقيّ في حصول ذلك هو أنّ الله سَلَّطَ رسوله عليهم، كما هي عادته وسنَّته في تسليط رسله على أعدائهم، فيغلبون، ويظهرون بقتال أو من غير قتال، والمعنى: ما كان هذا التّسليط بكم، ولكنّه كان من الله جلَّ في علاه[3] وحده، فقام الاستدراك مقام التَّعليل لما تقدَّم، ولدفعِ خَلَجاتِ النّفوس عن الطّمع في خيرات بني النّضير.

براعة إظهار اسم الجلالة في موضع الإضمار:

توريث المهابة في صدور المؤمنين والعلم في قلوبهم

كان مقتضى الظّاهر إضمار اسم الجلالة بأن يُقال: (ولكنَّه يسلِّط رُسُلَه)، لكنَّ النّظم القرآنيَّ عدل عن الضّمير إلى إظهار اسم الجلالة، فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾؛ جريًا على أسلوب السّورة في إظهار الاسم الجليل، زيادةً في تقرير أنَّ كلَّ شيء حصل في

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 227.
(2) المراديّ، الجنى الدانيّ، ص: 615.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 421.

هذا الفتح المبين وتأكيده، وذلك الإخراج العجيب، وتلك الأموال الّتي فاءت على رسول الله إنَّما هو من فعل الله وتدبيره، وراجع إلى حكمته وتقديره، وليكون اسم الجلالةِ حاضرًا في قلوب المخاطَبين، فيورث المهابة في النّفوس.

بلاغة تقديم المسند إليه على الخبر الفعليّ:

تسليط الله رسله على أعدائهم سنّة إلهيّة

قُدِّم ذكر المسند إليه على المسند الفعليّ في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ﴾؛ لِما يفيده ذلك من تقوية المعنى وتأكيد أنَّ هذا التّسليط كان بإرادةِ الله تعالى وقدرته، فهو الّذي قذف الرّعبَ في قلوبِ أهلِ الكتاب، وسلَّط رسولَه عليهم، كما سلَّط كلَّ أنبيائه ورسله على مَن شاء مِن أعدائهم فيما سبق[1]، مع ما فيه من معنى الاختصاص، فإنَّ ذلك لا يكون إلّا لله تعالى.

بلاغة استعمال مفردة ﴿يُسَلِّطُ﴾:

سلطان الرُّسل يجمع بين الحكم على الأعداء وقهرهم

دلَّ فعل ﴿يُسَلِّطُ﴾ على أنَّ الله تعالى يجعل لرسله سلطانًا على النّاس بصفة عامَّة، وعلى أعدائه بصفة خاصَّة، وقد آثر النّظم الكريم استعمال دون مرادفاته لدلالته على الغلبة والقهر، أي: إنَّ انتصارَ رسل الله الكرام على أعدائهم يكون مصحوبًا بالإذلال والتمكُّن منهم، والحكم فيهم بأمر الله تعالى وقضائه، فالتّسليط يشمل القهر والإلزام، والحكم على الأعداء دون منازعة الرّسل فيما يريدون، وهو ما يدلُّ على أنَّ الله تعالى إن أراد أمرًا؛ أنفذه فيما لا يحتسب النّاس.

دلالة التّعبير بصيغة المضارع ﴿يُسَلِّطُ﴾:

أوثر التّعبير بفعل التّسليط مضارعًا؛ للدّلالة على أنَّه يشمل الماضي والحاضر، ويتجدّد حصولُه في المستقبل، ففيه تنبيهٌ على أنَّ المذكور سنّة ماضيةٌ في أتباع الرّسل إلى يوم الدّين.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 80.

بلاغة الإيجاز بالحذف:

في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ إيجازٌ بالحذف؛ لأنَّ التَّقدير: ولكنَّ اللّهَ سَلَّط رسولَه ﷺ عليهم، واللّهُ تعالى يسلِّط رُسُلَه على مَن يشاء، وكان هذا بمنزلة التّذييل لعمومِه، وهو دالٌّ على المُقَدَّر[1]، ففيها معنى التّشبيه، كأنّه قيل: ولكنّ اللّه سلّط رسوله على بني النّضير كما سلّط رسله على من يشاء، وهذا هو معنى السننيّة المرادة في الآية.

بيان سننيّة التّسليط بالتّشبيه الضمنيّ

دلالة التّعبير بحرف الاستعلاء:

تعديةُ فعلِ التّسليط إلى مفعوله بحرف الاستعلاء، في قوله تعالى: ﴿يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾، دالٌّ على أنَّ اللّهَ تعالى يمكِّن رُسُلَه من أعدائهم تمكُّن الفارس من حصانه، أو الرّاكب من مركوبه، ما يعني: أنَّه تمكين إعزاز وتشريف لرسل اللّه وأنبيائه، وتمكين قهر وغلبة وإذلال لكل مَن يتآمر عليهم، ويكون في شقٍّ غير شقِّهم، ودلَّ حرف الاستعلاء على تمكُّن الرّسل ممّن شاء اللّه تعالى أن يُسلّطهم عليهم، وهو معنى الغلبة والقهر.

تمكينُ الرّسل مِن أعدائهم مقرون بالغلبة والقهر

دلالة التّعبير باسم الموصول:

عبّر البيان الكريم عن المفعول باسم الموصول في قوله: ﴿مَن يَشَآءُ﴾؛ ليعمَّ المعنى كلَّ أعداء اللّه وكلَّ أعداء رسله، سواء أكانوا مقاتلين أم غير مقاتلين[2]، في جميع الأزمنة والأمكنة.

نوع الواو ودلالتها في جملة الفاصلة:

الواو في جملة: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ استئنافيّة، والجملة بعدها مستأنفة؛ لتأكيد قدرة اللّه على تسليط رسله على من يشاء بصفة عامّة، وتسليط رسوله ﷺ على يهود بني النّضير بصفة

القدرةُ على كلِّ شيء هي حال اللّه الّتي لا تتبدَّل، ولا تتغيَّر

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 79.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 80.

خاصّة، ويمكن أن تكون الواو للحال، والجملة بعدها حاليّة دالّة على أنّ القدرةَ على كل شيء هي حالُ اللّهِ الثّابتةُ الّتي لا تتبدّل، ولا تتغيّر.

غرض تقديم الجار والمجرور على الخبر:

العناية بالعموم والتعريض بيهود بني النضير

جيء بالجار والمجرور: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مُقَدَّمًا على الخبر: ﴿قَدِيرٌ﴾؛ لتقوية المعنى، وتأكيد قدرة الله على الأشياء كلِّها بلا استثناء، ولو قيل: (واللّهُ قديرٌ على كل شيء)؛ لكان المعنى صحيحًا، لكنَّه لن يؤكد شمول القدرة بالقوّة الّتي جاء بها البيان القرآنيّ، فأفاد التّقديم العناية بالعموم والاهتمام به؛ تنبيهًا على أنّه لا استثناء من ذلك العموم، تعريضًا بما ظنّه يهود بني النّضير بأنّه لن يلحقهم أذى المؤمنين.

دلالة الإضافة في قوله: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾:

كلٌّ عظيم أمام قدرة الله صغير حقير، وكلٌّ صعب عنده سهل يسير

جيء بالاسم المجرور الدّال على العموم: ﴿كُلِّ﴾ مضافًا إلى: ﴿شَيْءٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ ليعمّ المعنى كلَّ الأمور أيًّا كانت، ومهما كانت، وكيف كانت، فالله تعالى قادرٌ على كلِّ شيء، وكلُّ شيء - مهما عَظُم - يبدو أمام قدرته صغيرًا حقيرًا، وكل أمر - مهما صَعُب - يبدو عنده سهلًا يسيرًا، وهكذا كان إخراجُ بني النّضير الّذي ظنَّ المؤمنون عدمَ حصوله، وظنَّ اليهودُ أنَّ حصونهم تحول دون وقوعه، وهكذا كان اختصاصُ الرّسول بالتَّصرُّف في أموالهم بيُسرٍ وسهولةٍ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفيء والغنيمة:

الغنيمة اسمٌ لما أُخذ بقوَّة، والفيء اسمٌ لما أُخذ بغير قتال

الفيء: ما أُخذ من أموال المشركين بدون قتال، أما الغنيمة؛ فهي اسمٌ لما أُخِذ من أموالهم بقتال[1]، وبعبارة أخرى: الغنيمة هي: ما

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 170.

أتعب المسلمون أنفسهم في تحصيله، وأوجفوا عليه الخيل والرّكاب، بخلاف الفيء الّذي ما تحمَّلوا في تحصيله تعبًا[1]، ولما كان السّياق للامتنان بإخراج بني النّضير من ديارهم، واختصاص الرّسول بالتصرّف في أموالهم؛ ناسب التّعبير بالفعل: ﴿أَفَآءَ﴾؛ لدلالته على أنَّ هذه الأموال عادت إلى رسول الله عودًا سهلًا بلا حرب ولا مشقّة، كما يعود الظلّ إلى جهة الشّرق بيسر وسهولة، ولو قيل: (ما غنم الرّسول)؛ لما استقام الكلام مع ما جاء بعد ذلك من قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾.

الإيجاف والسّير:

الإيجاف: هو السّير السّريع المصحوب بالجهد والتّعب، أمّا السّير؛ فهو المُضيُّ في الأرض، يقال: رجلٌ سائِر وسيّار، والسيّارة: الجماعة[2]، ولمّا كان الحديث قاصدًا إلى بيان عدم استحقاق المسلمين شيئًا من أموال بني النّضير، وردِّ الأمر في توزيعها إلى رسول الله؛ ناسب التّعبير بفعل (الإيجاف) المنفيِّ لتأكيد خُلوِّ تحصيلها من أيِّ تعبٍ أو مشقَّةٍ موجبةٍ إشراكَهم فيها.

الإيجاف: السّير السّريع المستصحب للتّعب، والسّير أعمُّ من ذلك

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 506.
(2) الرّاغب، مفردات القرآن: (سار).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الستون،
سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 60 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-66-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 60 : المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-66-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5294607 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"